متابعة

وجدي معوّض اللّعب مع آخر استعمار

وليمة مسرحية في كهف التطبيع

لا يبدو المُخرج اللبناني المُطبِّع معنيّاً بالإبادة الصهيونية التي طاولت جنوب بلاده ولم تقتصر على غزّة، فها هو يعود إلى بيروت لتقديم أحد عروضه، بعد شَراكات مع مؤسَّسات ومُمثّلين إسرائيليين، وبعد تبنّيه سردية الاحتلال حول عملية «طوفان الأقصى»

بيروت ـ **أنس الأسعد**

«وليمة عُرس عند سكّان الكهف»، كان يُمكن لهذه المسرحية المقرَّر عرضُها في الثلاثين من الشهر الجاري على خشبة مسرح «مونو» في بيروت، للمُخرج اللبناني الكندي وجدي معوّض (1968)، أن تكون جزءاً من رسالة المسرح الحقيقية ودورَه في بلد مأزوم كلُبنان، أو على الأقل أن يلتقط صاحبُها بحساسيّته الفنّية إشارات بيروت، التي تكاد تكون المدينة العربية الوحيدة التي لم تنقطع فيها تظاهُرات الاحتجاج ووقفات المُناصَرة لغزّة وأهلها، خلال نصف عام من حرب الإبادة المفتوحة، فضلاً عمّا يشهدُه الجنوب اللبناني من عُدوان إسرائيلي يَوميٍّ ضدّ أبناء وطنه. لكنّ المُخرج المُطبِّع اختار الجانب المُظلِم من التاريخ، اختار أن يجرّ «ولائمه» إلى الكهف الصهيوني.

تجاوُز «العبوديّة»؟

في التاسع من تشرين الثاني/ نوفمبر الماضي، كتَب معوّض مقالاً في «جريدة ليبراسيون» (الصحيفة الفرنسية التي لم تتورّع مُؤخّراً عن نشر كاريكاتير عُنصري حقير يشمت بتجويع الفلسطينيّين، وبرَّرت الرسّامة «كوكو» ذلك بادّعاءات إسلاموفوبيّة)، أي بعد مضيّ شهر على العُدوان، عنوَنه بـ«الصراع بين حماس وإسرائيل: لن تحظى بكراهيّتنا»، استرجعَ فيه أجواء الكراهية التي أحاطت بطفولتِه إبّان الحرب الأهليّة اللبنانية (1975 - 1990)، وكيف «رقَص» عند إعلان اغتيال كمال جنبلاط عام 1977، وكيف اعتبر «مجزرة صبرا وشاتيلا» جزاءً عادلاً للفلسطينيّين حينها، وردّاً على اغتيال بشير الجميّل (1982). يُريد معوّض أن يتجاوز «عبوديّته» لتلك الأجواء، كما يكتب، وأن يُثبت أنه اليوم بات على النقيض معها، وأنّ خلاصَه المزعوم منها لم يأتِ إلّا بعد هِجرة ودُروس حياتيّة وتعلُّم طويل. لكن هل نجدُه، بعد هذا الإطناب الفارغ على ذاته، يجأر بموقف شُجاع مُندِّد بالإبادة الصهيونية، وهي التمثيل الأبشع والرّاهن لما يتقوّله عن الكراهية، وهل نجدُه «يمنع المُستنقع من الفيضان»؟، كما يُكرّر.

نُتابع المقال لنرى الرَّجُل ينتفض انتصاراً للسردية الغربية بتفرُّعاتها الليبرالية، التي تستطيع أن تبتذل موقفاً «أخلاقيّاً» وتدّعي أنها أيضاً ضدّ الإسلاموفوبيا أو كراهية السُّود والمثليّين كلّ هذا معاً، لكن مع حرص شديد في المقام الأول، على أنّ الكراهية التي يجب أن نخشاها جميعاً ليست تلك التي تُوجِّه قاذفات الصواريخ «الذكيّة» إلى صدور ورؤوس الأطفال والنساء العُزّل في باحات المستشفيات بغزّة، بل هي «مُعاداة الساميّة»، ومُعادُو الساميّة برأيه ليسُوا الأوروبيّين، بعارِهم التاريخي المُتمثِّل في المحارق والغيتويات، بل «روح حماس التدميرية»، وبالأخصّ ما حدث في السابع من تشرين الأول/ أكتوبر 2023.

إذاً تحقّق خَلاصُ معوّض من بشاعات الحرب الأهلية اللبنانية، بمجرّد أن رطَن بتعويذة «مجانين الحرب»، التي تُوزِّع المسؤولية على طرفين «مُتطرِّفَين» مُتساويين، لا بين مُستعمِر ومُستعمَر، ولا كلمة واحدة عن الاستعمار الاستيطاني الإحلالي. وها هو صاحب الثلاثية المسرحية «نساء» (2011)، يتطهّر من آثام الكراهية في ذروة السقوط الأخلاقي للغرب بحكوماته جَمعاء يمينيّةً كانت أم يسارية، فكِلَا الفريقَين يتداول الأدوار الإمبريالية ضدّ شعوب العالَم، بما فيها شعوبُهم التي نراها تملأ الساحات، لا لأجل فلسطين في ذاتها فقط، بل لأنها وجدت فرصة للعودة إلى الحيِّز العام من خلال القضية الفلسطينية.

وجدي معوّض على يمين ماكرون وميركل أثناء افتتاح «معرض فرانكفورت للكتاب»، 10 تشرين الأول/ أكتوبر 2017 (Getty)

صفة لازمة

كلّ هذا لا يعني المُخرج المُطبِّع، ومدير مسرح «لا كولين» الوطني الفرنسي اليوم، حيث احتفت بعضُ الصحافة الثقافية العربية بالتجديد له الشهر الماضي، كما لم يَعنِه عام 2017 عندما قدّم عمله «الكلّ عصافير»، الذي حظي بدعم من سفارة الاحتلال الصهيوني في باريس، ومن «مسرح كاميري» في تل أبيب، حيث عُرضت المسرحية عام 2018، وشارك فيها ممثّلون إسرائيليون. بل إنّ انعدام الحساسيّة الإنسانية والفنّية تبدو صفةً لازمة لمعوّض، حين نعلم أنّ جُزءاً من ثلاثيّته المسرحية «نساء»، المُعنوَن بـ«أنتيغون»، قد شارك فيه مُغنّي الرُّوك الفرنسي بيرتران كانتا (1964)، الذي قتَل شريكته المُمثّلة المسرحية ماري ترنتينيان عام 2003، قبل أن يُحكَم بثماني سنوات سجن، وبهذا يكون معوّض مُتمرِّساً في «التطبيع» مع القتَلة وإعادة تأهيلهم وتقديمهم للرأي العام سواء أكانوا أشخاصاً أم كيانات استعمارية.

نصْفُ عام من الإبادة في غزّة لم تمس ضميره الإنسانوي

ومن المفارقات أيضاً، أنّ المُخرج كان قد وجّه رسالةً بالفرنسية في إحدى التظاهرات الفنّية عام 2020، وعلى أثر انفجار «مرفأ بيروت»، تحدّث فيها عن ضرورة أن يكون اللبنانيّون معاً، خاصة الجيل الجديد منهم، وأنّ هذا «الوجُود معاً» في غُرَف السلطة قد يكون جريمة أفدح وأخطر من القتل. في رسالته تلك، تساءل معوّض عن إمكانيّة الغضب وقوله، وهو الذي نسي العربية في المنفى، واستعصَت عليه حروفها الثقيلة، كما كتب، ونراه يُعبِّر عن مقته أولئك البرجوازيّين الذين يرطنون بلُغات غير لُغتهم الأمّ، فهل يُعقَل أن يكون صاحب تلك الرسالة «المؤثّرة» قد انقلب على ما كان يُنادي به قبل أربع سنوات فقط؟ أليس «الوجُود معاً» بعد أكثر من أربعين ألف شهيد ومفقود هو المطلوب اليوم قبل أيّ شيء آخر؟

وإذا كان قد أَسِيَ على نفسه لنسيانه حروف العربية، فالأجدر ألّا يكون قد نسي ضميرَه الإنساني، وليتكلّم بعدها باللغة التي يُريد، شرط ألّا يتلعثم أمام الإبادة ومُرتكِبها الذي لا يُخفي نفسه. أيّ لُغة تتكلّم آني إرنو وإدغار موران وجان لوك ميلنشون، يا مُخرجَنا العالمي، ومئات آلاف المُتظاهرين الدّاعمين قضيةَ فلسطين في باريس والمُدن الفرنسيّة؟ وأيّ لُغة يتكلّم «أبطال» الإنزالات الجوّيّة العرب؟ هذه تفاصيل أمام فداحة المشهد، الحقّ نقول لك. الجدير بالذِّكر أنّ بياناً، كان قد صدر في الثالث من نيسان/ إبريل الجاري، عن «حملة مقاطعة داعمي إسرائيل» في لبنان، بعنوان «وجدي معوّض لن تُعرَض مسرحيّتُك في لبنان، لن تُبيّض صورة الجريمة الصهيونيّة!»، وممّا جاء فيه: «حتى لا يكون الفنّ بشكل عام، والمسرح بشكل خاص، شاهِدَي زُور على التاريخ، ووفاءً لدماء كلّ الشهداء، فإنّ حملة ‹مقاطعة داعمي إسرائيل› في لبنان توجّهت إلى الجهات المعنيّة بإخبار مُباشر لإيقاف هذا العمل. وإذ نُناشد الفنّانين المشاركين بالمبادرة إلى وقفة ضمير والانسحاب من العمل، ندعو كلّ الفنّانين اللبنانيّين الأحرار إلى تحرُّك نضاليّ فنّي يُساهم في إيقاف المسرحية». بدورها، أعلنت «جمعيّة السبيل»، عبر حسابها على فيسبوك، عن تعليق الحملة التمويلية من خلال العرض ما قبل الأوّل للمسرحية التي يُشارك فيها مجموعة فنّانين، هُم: فادي أبي سمرة، وبرناديت حديب، وعايدة صبرا، وعلي حرقوص، وجان ديستريم، وليال الغصين.

«تلميع» صورة الجريمة

على خلفية استعداد مسرح «مونو» في بيروت لعرض عمل «وليمة عُرس عند سكّان الكهف» للمُخرج اللبناني المُطبِّع، صدر بيانٌ في 3 نيسان/ إبريل الجاري، عن «حملة مقاطعة داعمي إسرائيل»، بعنوان «وجدي معوّض لن تُعرَض مسرحيّتك في لبنان، لن تُبيّض صورة الجريمة الصهيونيّة!»، دعت فيه الحملة الجهات المعنيّة إلى إيقاف العمل، وناشدت الفنّانين المشاركين الانسحاب من العمل، كما أعلنت «جمعيّة السبيل» تعليق تمويل المسرحية.

مع غزّة

مي نصر

أن نحتفل بالتحرير بعد هذا النفق المُظلم

تقف هذه الزاوية مع مبدع عربي في أيام العدوان على غزّة وكيف أثّر على إنتاجه وحياته اليومية، وبعض ما يودّ مشاركته مع القرّاء

عمّان ـ **العربي الجديد**

■ ما الهاجس الذي يشغلكِ هذه الأيام، في ظل ما يجري من عدوان إبادةٍ على غزّة؟

الهاجس نفسه الذي يسكن كلّ مواطن صادق، وهو وجود هذا الكيان الصهيوني الوقح والغاصب الذي يعتاش على نَهْب الأرض وقَتْل أصحابها، كمرض السرطان الذي يفتكُ بلا رحمة بجسم الإنسان.

■ كيف أثّر العدوان على حياتك اليومية والإبداعية؟

في بدايته أُصِبتُ بحُزن وإحباط شديدَين من هول مجازر الإبادة الإنسانية التي يرتكبها الكيان الإسرائيلي بحقّ أهلنا في غزّة وفلسطين، وأسراهم المُعتقلين منذ عقود. فبشاعة الظُّلم والاستبداد فاقت الجنون. لكن مع مرور كلّ يوم ازددتُ قوّة وعزماً عندما شاهدت القواعد الشعبية في المنطقة العربية وحول العالَم تتحرّك وتتضامن مع الشعب الفلسطيني وتُعبّر عن ذلك بشكل مُتصاعد يوميّاً. فبالإضافة إلى تقديم أُمسيات غنائية دعماً لفلسطين، أصبحتُ ألجأ أكثر إلى سماع وأداء الأغنيات الوطنية. وقد أطلقتُ مؤخّراً أغنية عفوية جدّاً بعنوان «البنت الزغيرة»، تحكي عن الطفولة البريئة التي ذهبت ضحيّة هذا العدوان والحروب بشكل عام.

■ إلى أي درجة تشعرين بأن العمل الإبداعي ممكنٌ وفعّال في مواجهة حرب الإبادة التي يقوم بها النظام الصهيوني في فلسطين اليوم؟

العمل الإبداعي على جميع أنواعه ليس مُمكناً فقط، بل ضروري وأساسي جدّاً، لدوره الحيوي في التحفيز والحفاظ على وتيرة العَزم والمُقاومة في نفوس جميع الناس المُناضِلين في سبيل قضيّة حقّ عُمرها أكثر من سبعين عاماً. إنني أشبّه الأعمال الفنّية، التي ظهرت بشكل خاص في فترة الأشهُر الأخيرة من جرّاء حرب الإبادة الصهيونية على أهلنا في فلسطين، ببركان من العُنفوان الشبابي تفجَّر ونثَر حِمَمه التي أفاقت المُناصرة الشعبوية ليس فقط في منطقتنا، بل حول العالَم أيضاً، وخاصةً في بُلدان أجنبية لم نكُن نسمع أيّ صدى شعبيّ منها حول القضيّة الفلسطينية والحقّ الفلسطيني المقدّس في التحرُّر من الاحتلال الصهيوني.

■ لو قيّض لكِ البدء من جديد، هل ستختارين المجال الإبداعي أو مجالاً آخر، كالعمل السياسي أو النضالي أو الإنساني؟

أختار دائماً المجال الإبداعي الذي من خلاله ينطلق اندفاعي النضالي والإنساني. ليس لي في العمل السياسي أيّ اهتمام.

■ ما هو التغيير الذي تنتظرينه أو تريدينه في العالم؟

تحرير فلسطين بالدرجة الأُولى وانحلال الكيان الصهيوني. فمن خلال ذلك فقط، يُمكن لفلسطين ومنطقتنا بالكامل استعادة عافيتها. في نفس الوقت، أتمنّى على التغيير في العالَم أن يعود ويجعل العدالة الاجتماعية من أقوى ركائزه. والأمر ليس مستحيلاً، بالرغم من ثُبوت العكس حالياً عندما نشاهد أساليب التحكّم لدى قادة الدول الكبرى.

■ شخصية إبداعية مقاوِمة من الماضي تودين لقاءها، وماذا ستقولين لها؟

غسان كنفاني؛ «يا ريتك طلعت بتاكسي بدل سيارتك».

أطلقتُ أغنيةً بعنوان «البنت الزغيرة» أهديتها لأطفال فلسطين

■ كلمة تقولينها للناس في غزّة؟

«ما في كلام يساع...». منكم تعلّمنا التصالُح مع الموت! الرحمة لأرواح جميع الشهداء الأبرار. الله يُعيننا يداً بيَد ويُعينكم على عبور هذا النفق المُظلم الطويل ونحتفل بالتحرير معاً في القدس الشريف، العاصمة الأبديّة لفلسطين!

■ كلمة تقولينها للإنسان العربي في كلّ مكان؟

في الاتحاد قوّة!

■ حين سئلت الطفلة الجريحة دارين البيّاع التي فقدت معظم أفراد عائلتها في العدوان، ماذا تريدين من العالم، أجابت «رسالتي للناس إذا بيحبوا دارين يكتبوا لي رسالة أو أي إشي».. ماذا تقولين لدارين ولأطفال فلسطين؟

أدعو لربّي أن يُرسل لكِ أولاد حلال يعتنون بكِ أنتِ وكلّ الأطفال الذين خسروا مثلك أغلى ما عندهم. أن يغمروكم بكلّ الحبّ الذي حُرمتم منه، وأن يُوفّروا لكُم الفُرص التي تستحقّونها لعيش حياة كريمة، لكي تحملوا بدوركم للأجيال القادمة قصص مُعاناتكم وشجاعتكم وصمودكم، وتصبحوا عنواناً للكرامة في أعيُنهم.

مي نصر

بطاقة

فنّانة وعازفة لُبنانية من مواليد البحرين وتُقيم في الأردن. حاصلة على إجازة في الفنون وتنمية الموارد البشرية والعمل الاجتماعي من «الجامعة اللبنانية الأميركية» في بيروت. تتلمذت على يد فنّانين لبنانيّين بارزين، من بينهم: زكي ناصيف، وأستاذة الموسيقى وتدريب الصوت بديعة صبرا حدّاد، ومهندس الصوت فريد أبو الخير الذي تعتبره والدها الرُّوحي. قدّمت العديد من الحفلات حول العالَم، ومن ألبوماتها الغنائية: «للغالي» عام 2008، و«مكتوب في الماء» (2009) بالاشتراك مع الفنّانة الأرجنتينية لوردس بيريز، وأُغنية «أحبّكَ» (2012) التي كتبتها الروائية غادة السمّان، كما أصدرت مؤخّراً أُغنية «البنت الزغيرة» التي أهدتها لأطفال فلسطين خاصةً، ولجميع الأطفال الذين يُعانون من أهوال الحروب.

معرض

أحمد البظ توثيق القرى الفلسطينية المهجَّرة

ذاكرة بصرية للنكبة

يُفتتح بعد أيام في مدينة كامبردج البريطانية معرض «النكبة 75» الذي يضمّ صوراً فوتوغرافية التقطها الصحافي الفلسطيني خلال السنوات الأربع الماضية

لندن ـ **العربي الجديد**

آثار بيوت في مدينة طبرية المحتلة التي هُجّر سكانها عام 1948 (من المعرض)

منذ أربع سنوات، بدأ الصحافي والمصوّر الفلسطيني أحمد البظ توثيق آلاف الصور لما تبقّى من قرابة مئتي بلدة وقرية مهجَّرة تمكّن من زيارتها، من أصل أكثر من خمسمئة وثلاثين قرية تم اقتلاعها وتهجير أهلها قسراً على يد العصابات الصهيونية عام 1948. وأبرزَ في مجموعته الفوتوغرافية مشاهد الآثار القديمة في تلك القرى، وكيف تمّ استخدامها من قبل الكيان المحتل وما طرأ على المشهد من تغيرات عمرانية غيّرت معالم المكان كلّه، حيث لا يزال كثير من الآثار المهجورة أو أجزاء منها داخل المستوطنات، حيث تحوّلت إلى حظائر للحيوانات، ومقابر محاطة بأسلاك كهربائية، وغيرها من الاستخدامات. يُفتتح عند الرابعة والنصف من عصر الأحد، الحادي والعشرين من الشهر الجاري، في «مركز مجلس أبرشية كامبورن» بمدينة كامبردج البريطانية معرض صور تحت عنوان «النكبة 75: توثيق فوتوغرافي» الذي يضمّ الصور التي التقطها البظ حتى العام الماضي. المعرض الذي نظّم سابقاً في رام الله وبيت لحم، والعديد من مخيمات اللجوء الفلسطيني في الضفة الغربية والأردن ولبنان، يضيء المجازر وعمليات التهجير التي ارتُكبت منذ سنة 1947، وأجبر بسببها أكثر من تسعمئة وخمسين ألف فلسطيني على ترك منازلهم وأرضهم. وإلى جانب هذه الصور، أرفقت معلومات عن تاريخ تلك القرى المهجَّرة ومحاولات طمسها منذ أكثر من سبعة عقود، ومنها صورة مقبرة محاطة بأشجار السرو والصبار في قرية طيرة دندن بالقرب من مدينة الرملة التي احتلّها «لواء ألكسندروني» في العاشر من تموز/ يوليو 1948 وطرد جميع سكّانها. هناك صورة أخرى لمقام الإمام قطناني في قرية يازور إلى جوار مدينة يافا، والتي نفّذت فيها عصابة البالماخ بقيادة إسحق رابين مجزرة في الثاني والعشرين من كانون الثاني/ يناير 1948، ثم توالت الهجمات حتى احتلالها في الأول من أيار/ مايو من العام نفسه حيث أجبر أهلها على مغادرتها، وكذلك صورة بساتين ومقبرة مهجورة في مدينة بيسان التي احتلّتها العصابات الصهيونية قبل ثلاثة أيام من دخول الجيوش العربية الى فلسطين. وثّق البظ أماكن في أكثر من مئتي قرية ومدينة محتلّة، ضمن «الأماكن المهجَّرة التي تنقسم إلى ثلاثة أقسام، أولها: أماكن مسحتها آلة الحرب الإسرائيلية ولم يسكنها المستوطنون وظلت فارغة، والثانية، مستوطنات أقيمت على أنقاض القرية الأصلية، ولا تزال في داخلها مقابر إسلامية أو مساجد أو أجزاء منها، وثالثها قرى بقيت على حالها وبنائها الأثري القديم وتغيّر سكانها فقط»، بحسب البظ. كما تظهر الصور مقاماً دينياً في قرية بشيت بالقرب من مدينة الرملة التي أقام فيها الاحتلال مستوطنات عدّة، وأحد بيوت بلدة دير القاسي في الجليل الأعلى التي تأخّر احتلالها حتى التاسع والعشرين من تشرين الأول/ أكتوبر عام 1948 بعدما قصفها الطيران الصهيوني مع القرى المجاورة، وكذلك آثاراً في مدينة طبرية، وبقايا بيوت في قرية قيرة بالقرب من مدينة حيفا، وكنيسة مدمّرة في قرية البصة إلى جوار مدينة عكا، وهي واحدة من القرى التي ارتكب فيها الاستعمار البريطاني مجزرة إبّان الثورة الفلسطينية الكبرى، ومقام الشيخ نوران الذي يبعد نحو أربعين كيلومتراً عن مدينة بئر السبع، وغيرها.

تبرز الصور المعروضة مشاهد الآثار القديمة في تلك القرى

فعاليات

يقرأ الشاعر الفلسطيني **أحمد الملّاح** مُختارات من مجموعته الصادرة بالإنكليزية **حكمة الحدود** Border Wisdom، عند الرابعة من مساء غدٍ الجمعة في مكتبة «براون بوكس» التابعة لـ«جامعة براون» بولاية رود آيلاند الأميركية. تقتفي المجموعة أثر اللغة الأمّ، مُشتغلةً على الحدود البَينيّة بين اللغات.

ضمن لقاءات **مطبخ الكتابة** التي تُنظّمها «مكتبة السبيل» في بيروت، يُقدّم الكاتب اللبناني **الياس خوري** (1948)، مُحاضَرة عند السادسة من مساء الجمعة، 19 نيسان/ إبريل الجاري، في فرع المكتبة بشارع مونو، وتُحاوره فيها بانة ماضي. يتحدّث صاحب رواية «باب الشمس» (1998)، عن تجربته في الكتابة الإبداعية، إلى جانب كتاباته الصحافية والنقدية.

غزّة العزّة والصمود، عنوان الشّهادة التي يُقدّمها الطبيب الكويتي **محمد جمال** (الصورة)، عند السابعة والنصف من مساء الثلاثاء، 30 من الشهر الجاري، في «مكتبة تكوين» بالكويت العاصمة. تندرج الندوة ضمن برنامج «سقط القناع عن القناع» الذي تُضيء من خلاله المكتبة راهن قضية فلسطين في زمن الإبادة.

في جلسة يعقدُها فرع «المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات» بتونس العاصمة، عند الثانية من بعد ظُهر الأربعاء المُقبل، يُحاضِر كلٌّ من الباحثَين التونسيَّين **أحمد كرعود** و**محرز الدريسي** حول كتاب **مصطفى الشيخ زوالي** (الصورة) **بن علي والنُّخبة التونسية: دراسة في الثقافة السياسية وخطاب المثقّفين**.